حول ريادة الجاحظ العلمية في حقل اللسانيات التطبيقية

On al-Jahiz´s scientific leaderchip in lhe fied of applied linguistics

محمد خاين

المركز الجامعي أحمد زبانة بغليزان (الجزائر) /khainmohamed2001@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018./12/28 تاريخ القبول:2020/01/27 تاريخ النشر: 2020./07/29

الملخص: ملخص: تروم هذه الورقة البحث في مسألة القيمة العلمية للجهود اللغوية التي أنجزها الجاحظ في ميدان البحث اللغوي التطبيقي، والقائمة على الملاحظة والتجريب، وهي أدوات علمية ما فتئت الأبحاث المعاصرة تؤكد أهميتهما في أي دراسة تتحرى الموضوعية، وتبتغي توصيف الظاهرة محل المعاينة توصيفا علميا يوصل إلى معالجتها، وإيجاد الحلول العلمية الكفيلة بالتصدي لها. كما تسعى إلى تعريض تلك الجهود إلى مستجدات الدرس اللساني المعاصر، بغية إظهار جدواها، وذلك قصد تبرير أو تفنيد مسألة الريادة العلمية للجاحظ في حقل اللسانيات التطبيقية، التي يحرص بعض الدارسين العرب على تأكيدها، بمعنى أن هذه الورقة تتغيا مساءلة مدى صدقية أطروحاته، وصلابتها المعرفية، وفق مقاربة نقدية. فقد أثبتت الدراسات المعاصرة صواب نظرته في الكثير مما خلفه من أراء ومواقف، وتوصيفات في الكثير من المجالات المصنفة حاليا في هذا الحقل من الدراسات كالترجمة والتقابل اللغوي وعيوب النطق والكلام، واكتساب وتعلم اللغات.

الكلمات المفتاحية: الجاحظ؛ اللسانيات التطبيقية؛ الريادة العلمية؛ التراث اللغوي العربي؛ الإسهام العلمي

المؤلف المرسل: محمد خاين ، **الإيميل:**

khainmohamed2001@gmail.com

Summary : This paper aims to examine the scientific value of the linguistics efforts made by Al-djahiz in the field of applied linguistic research, based on observation and experimentation. Nowadays, these scientific tools have always been emphasized by researchers in any study that inquired objectivity. We seek to expose these efforts to be as similar as the latest contemporary language courses stated; with a tendency to prove as possible their usefulness, and to refute or to justify the leadership of Al-djahiz in applied linguistics studies that some Arab scholars are keen to assert. This means that, this paper tries, with a critical approach, to question the levels of credibility and tenacity of these theses. Many contemporary studies have proven the correctness of many opinions and attitudes exposed by him in his books, and in multiple fields like: translation, contrastive studies, speech disorder, acquisition and learning languages.

Key words: Al_djahiz – applied linguistics – scientific leadership – Arab's linguistics heritage – scientific contributions

حول ريادة الجاحظ العلمية في حقل اللسانيات التطبيقية

– توطئة:

يلحظ المتتبع لمسار نشأة علوم اللغة العربية أن الدافع الكامن وراءها كان تطبيقيا صرفا، فهاجس البحث عن الحل الأمثل والبديل النوعي، كان وراء نشأة كثير من العلوم، ولعلني لا أكون مبالغا إن قلت: هو سبب وجود كل العلوم، وسأكتفي ههنا بنموذج واحد أراه كفيلا بتجلية المسألة، وهو الغاية الكامنة خلف العلوم التي برع فيها العرب والمسلمون من نحو وصرف وبلاغة، ودراسات صوتية ومعجمية...بعد القرن الأول الهجري، إذ كان الدافع إليها تطبيقيا عمليا محضا متمثلا في حفظ كتاب الله من اللحن والخطأ،وتيسير فهمه للنّاس كافة، والإيغال في الكشف عن أسراره ومكنوناته. بل إننا لنجد أن توخي العلم النافع هو من صميم تعاليم الإسلام، فقد ورد في الأثر التعوُّذ من علم لا ينفع (صحيحة).

وإن نحن أمعنّا النظر في تعريف ابن جني للنحو لوجدناه تطبيقيا إجرائيا، ينطلق من النظرية ويصل إلى الممارسة عبر تطبيقاتها، للتمكّن من تجاوز اللحن وتحقيق صون اللسان:"النحوُ هوَ انتحاءُ سَمتِ كلامِ العربِ في تصرّفِهِ من إعرابٍ وغيره: كالتثنيةِ، والجمعِ، والتحقيرِ والتكسيرِ والإضافةِ والنَّسَبِ، والتركيبِ، وغيرِ ذلكَ، ليلحقَ مَنْ ليسَ مِنْ أهلِ اللّغةِ العربيةِ بأهلِها في الفصاحةِ فينطِقَ بها وإنْ لم يكنْ منهم، وإنْ شذَّ بعضُهم عنْها رُدَّ بهِ إليها" (جني، 1999، صفحة 35). إذ نلحظ في قوله:" من ليس من أهل اللغة العربية"، بُعدا تطبيقيا، وهو ما يعرف في زمننا بتعليم العربية للناطقين بغيرها. وهو تَوجّه تعليمي ساد لدى الغربيين حتى منتصف القرن العشرين والمعروف بطريقة القواعد والترجمة، في تعليم اللغات الأجنبية.

وقد نُظر إلى الجاحظ على أنه من أكبر رواد الدراسات اللغوية الميدانية، في التراث اللساني العربي، فقد أثبتت الدراسات المعاصرة صواب نظرته في الكثير مما خلفه من أراء ومواقف، وتوصيفات في الكثير من المجالات المصنفة حاليا في حقل اللسانيات التطبيقية

كالترجمة والتقابل اللغوي وعيوب النطق والكلام. وعليه ستتجه هذه الورقة إلى مساءلة قضية الريادة العلمية للجاحظ في حقل الدراسات اللغوية التطبيقية.

2. موقعية الدراسات اللغوية التطبيقية العربية في الفكر الإنساني:

مع إقرارنا بأن اللسانيات التطبيقية حقل معرفي غربي النشأة والمنجزات، إلا أن الدوافع الكامنة وراء نشأته، والغايات التي يسعى دوما لتحقيقها، والإكراهات التي تلاحقه، وكانت سببا في المنعرجات الحاسمة التي مر بها، والأشواط التي قطعها، هي دوما في عمومها لا في تفاصيلها التي تقف وراء كل نشاط علمي أنجزه الإنسان عبر مساره التاريخي السحيق والممتد، فالحاجة إلى تحسين ظروفه المادية والاجتماعية هي التي أوصلته إلى هذا المستوى من الرقي العلمي والحضاري والإبداع الفكري، فـ:" العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية، وتأثر اللغة بالعادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين قائمة منذ أن وجدت اللغة ووجدت الحياة الاجتماعية" (نهر، 1988، صفحة 9)، ومن ثمة فما دامت هذه العلاقات والتفاعلات، فلا شك أنه حدثت ملابسات في التواصل اللغوي ومشاكل عمل الإنسان على حلها في كل زمان وفي كل مكان، وعليه أمكن لنا الحديث عن ممارسات لسانية تطبيقية.

ومن ثمة فلا غرابة إن تحدثنا هنا عن منجز لغوي تطبيقي في التراث العربي، فقد سُبِقنا إلى هذا من قِبَل لسانيين عرب مرموقين (الوعر). وحديثنا هنا سيكون عن جهود لسانية تطبيقية بفهم العصر والسياق الذي أنجزت فيه، ومحاولة قراءتها بمناهج ومعطيات لسانية تطبيقية، إذ إنه لا حديث عن تخصص علمي قائم بذاته. فالغاية التطبيقية، ومحاولة الاستجابة لطلب اجتماعي، أو حل مشكلة لغوية مهما كان نسقها يبقيان محفِّزا لا ينكر، وإن نحن استعرنا مفاهيم سلوكية لتوصيف الحالة، سنقول: إن المشكل الخارجي الذي يواجهه الإنسان، وهو بمثابة المثير الذي ينجرّ عنه رد فعل ممثلا في التصرف أو السلوك الذي هو

استجابة للمثير الخارجي، ممثلا في الحل الذي يوجده للمشكلة التي تواجهه. ومن ثمة أمكن وصف المنجز اللساني التطبيقي العربي الذي حفظه لنا التراث اللغوي العربي بكونه استجابة لمشاكل العصر الذي وضعت فيه هذه الحلول.

ولكن ما نراه مجانبا للموضوعية العلمية ويسير عكس السيرورة التاريخية لتطور العلوم هو الادعاء بالريادة العربية في ميدان اللسانيات التطبيقية، وأن الجاحظ هو رائد هذا العلم، ومؤسِّسُه بلا منازع*، وأنه قد:" حذا علماء اللغة في أمريكا وأوروبا حذوه، واستناروا بآرائه، ومبادئه في دراسته هذه الموضوعات اللغوية التطبيقية، التي تناولها بشكل مفصل في كتبه العلمية القيمة" (جاسم، مج40،ع2، 2013، صفحة 295). فالحديث عن ريادة عربية قادها الجاحظ، معناه وجود دراسات لسانية تطبيقية عربية بكل المقوّمات والأسس والمرتكزات والوعي المنهجي، والصلابة النظرية والتماسك المعرفي الملاحظ في الدراسات المعاصرة، وهذا ما لم يقع، فهي آراء متناثرة حول قضايا لسانية مجتمعية متنوعة(عيوب النطق والكلام، الترجمة، اللغات الأجنبية، التداخل اللغوي) قائمة على الوصف البعيد عن العمق، وعلى الملاحظة المجردة.

وهذا– في اعتقادنا– ما لم يتم تحقّقه لدى الجاحظ، فهو طَرَق موضوعات وقضايا من وجهة نظر المتابع للظاهرة اللغوية كما تجلت لدى أبناء عصره، فوصفها، كاللحن مثلا، ولا أحد ينكر أن توصيفاته كانت صائبة، وخاصة في مسائل التداخل، ونقل الأعجمي لعاداته اللغوية إلى اللغة العربية، وكذا نظرته إلى الترجمة.

ولكن هذا لا يسوِّغ لنا أن نبني حكما عاما بالريادة العلمية، والتأسيس بالمواصفات التي نعرف. وللتدليل على ذلك يكفينا الرجوع إلى مسألة مأْسَسة اللسانيات التطبيقية بدءا من سنة 1946 (Lipovsky, 2009, p. 1)، والتي سبقت بأعمال تمهيدية كثيرة أكثر نضجا مما بدت عند الجاحظ، ولا أحد ادّعى بأنها ظهرت بوصفها تخصصا علميا لدى هؤلاء كما لاحظنا في بريطانيا مثلا وفي أمريكا.

إن الآراء اللسانية ذات البعد التطبيقي التي ظهرت لدى الجاحظ وغيره من اللغويين العرب لا يمكن أن تحملنا– كما فعل البعض– إلى كتابة مجموعة من الدراسات والأبحاث ونشرها وخلال فترات زمنية متباعدة، والادعاء فيها أن الجاحظ مثلا هو رائد اللسانيات التطبيقية، وأن الغربيين قد نقلوا أفكاره، ونحن نرى أن ما توصل إليه الجاحظ يدخل في باب المشترك الإنساني، الذي تتقاسمه الأبحاث اللسانية القديمة، في حين تبنى اللسانيات التطبيقية على استجلاب نظريات وطرائق ومناهج لسانية وغير لسانية وتحويلها إلى أدوات إجرائية تستثمر في معالجة المشاكل ذات الصلة باللغة والتواصل في الحياة اليومية، والتثبت من مدى صلاحيتها على أرض الواقع، ووفق وعي معرفي ومنهجي قائم على التشخيص وتحديد موضع الخلل، وطرح العلاج المؤسَّس والمؤصَّل علميا، فهذا ما لم يقع إلا ضمن هذا التخصص الحديث المسمى اللسانيات التطبيقية.

وقد لاحظنا أن ما قام به الجاحظ انبنى على التوصيف دون عرض الأدوات المنهجية المعتمد عليها، ولا الأطر النظرية التي أسس عليها رؤيته لهذه الوقائع اللغوية، ولا يمكن لنا أن نطالبه بذلك، ولا تقويمه بأدوات عصرنا، كما لا يمكن لنا في الوقت ذاته القول إنه صاحب السبق في تأسيس هذا العلم، ولا انتقاد من قال: إن هذا العلم غربي النشأة والتأسيس** (جاسم، مج40،ع2، 2013، صفحة 304)، وحضور البعد التطبيقي في أية دراسة لغوية في تراثنا العربي لا يجيز لنا نسبة التخصص للغويين العرب القدامى، نظرا لكونهم اتصفوا بالمعرفة الموسوعية، وعدم تقيّدهم بمنهج محدد يلتزمونه في كل كتاباتهم، إذ تجد الواحد منهم، وخاصة الجاحظ، يتنقلون من موضوع إلى آخر، ثم يعودون إليه، وهكذا دواليك، وهذا ما ينفي عن أبحاثهم صفة التخصص بمفهوم العصر.

إذ يذهب الدارسون إلى أن التخصص بناء خطابي للمعرفة، ومؤسسة مصغرة، وآلية اجتماعية مهمتها التكفل بالضبط الاجتماعي للنشاطات العلمية، وعليه فالتخصص قالب للمعرفة النسقية المتمظهرة عبر تنوع الرهانات الاجتماعية الممَأْسَسة، المهيكِلة له، والمحددة

لهويته. وهذا التوصيف الاجتماعي للتخصص يقود إلى أنه ليس حالة مغلقة على نفسها (Leclerc, 1989).

كما هو جلي يهيمن البعد الاجتماعي على هذه المحاولة لمفْهَمة التخصص، والذي يستحضر إلزاما الأبعاد الأخرى المصاحبة له نظرا للعلاقة الجدلية التي يقيمها معها كالبعد الثقافي، والعلمي والاقتصادي والسياسي.

تأسيسا على ما تقدم توصلنا المقاربة التفكيكية لعناصر مفهوم التخصص إلى الوقوف على العناصر المشكلة له: فالحديث عن المؤسسة المصغرة يستجلب ضرورة فكرة الهياكل التي تتبني عليها، ومن ثمة يدفعنا هذا إلى التساؤل عن مدى تحقُّق هذه الخاصية اللسانية التطبيقية، في أعمال الجاحظ ومن خلاله سائر اللغويين العرب القدامى الذين خاضوا في مباحث لغوية تبدو فيها السمة التطبيقية.

وحين النظر إلى التخصص من زاوية أنه بناء خطابي للمعرفة، فهذا معناه أنه يحُوز لغة واصفة خاصة به، وجهازا مصطلحيا، وشبكة مفاهيمية، وإشكاليات يشتغل عليها، ومناهج يتبناها. وهذا بدوره يؤدي بنا إلى التساؤل عن العلاقات القائمة ما بين المفاهيم المشكّلة له، والتي يفترض فيها التلاحم(**Cohérence**)، وعدم التناقض والاضطراب، حتى في اتصاله مع غيره من الحقول المجاورة، وفي تعيينه:" جملة العلاقات القائمة ما بين أغراض/موضوعات وأفراد يصنعون خصوصيةَ ميدانٍ معرفي ما، أو منهجيةً، أو برنامجا بحثيا***" (Fabiani, 2006). وصفة البناء الخطابي ينتج عنها الوصول إلى النسق الناظم لهذه المعرفة، وطبيعتها، ورهاناتها الاجتماعية، وحدود استجابتها لمتطلبات المحيط، ورفعها لتحدياته، وكل هذا وغيره مما يدخل في تحديد هوية التخصص.

3. فضل الجاحظ وإسهاماته اللغوية التطبيقية:

إن ما سقناه من الكلام لا يقلل من القيمة العلمية للجاحظ، كما لا ينفي إسهاماته المتميزة في بعض المجالات التي تعد من كلاسيكيات اللسانيات التطبيقية كالترجمة مثلا فقد حكم باستحالة ترجمة الشعر: "والشعر لا يستطاع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حُوِّل تقطّع نظمه وبطل وزنه وذهب حسنه وسقط موضع التعجب، لا كالكلام المنثور" (بحر، كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ج 1. ط2، 1965، صفحة 75) ، وإن كان قد رأى أنه لا مانع من نقل العلوم الأخرى بمعناها لا بألفاظها، وتراكيبها، وتصاريف القول فيها، وهو ما يحيلنا على وعي علمي بخصائص كل لون من الترجمة كالترجمة الأدبية والترجمة التقنية والترجمة المتخصصة.

وكما نلحظ استخدامه لمصطلحات مازالت متداولة إلى يومنا هذا كالنقل والتحويل، وأكثر من ذلك نجده يوظف مصطلح الأمانة توظيفا لا موارية فيه في قوله: "وإن الترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها" (بحر، كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ج 1. ط2، 1965، صفحة 76) . وجزم بصعوبة ترجمة المقدس من النصوص: "ومتى لم يعرف ذلك المترجم أخطأ في تأويل كلام الدين. والخطأ في الدين أضر من الخطأ في الرياضة والصناعة، والفلسفة..." (بحر، كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ج 1. ط2، 1965، صفحة 78). وقد ارتكز الجاحظ في نظرته على صعوبة النقل والحفاظ على مواصفات الأصل، وهو ما يعني أنه أسّس طرحه على معيار الأصل الذي ينبغي أن يحترم، وهنا مكمن الأمانة بالنسبة إليه. كما كانت له رؤى في مواصفات المترجم بقيت صامدة على مر العصور وتوالي الحقب، وأضحت من مسلمات نظرية الترجمة المعاصرة، كمعرفة اللغة المصدر واللغة الهدف، والحقل المعرفي المستهدف بالترجمة:"ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن عمله في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيها سواءً

وغاية" (بحر، كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ج 1. ط2، 1965، صفحة 76).

وقد تنبه الجاحظ بفكره الثاقب إلى بعض مصاعب الترجمة الناجمة عما يسمى حاليا في الدراسات اللسانية التقابلية بالتداخل، وهو تأثير لغة في لغة في مختلف المستويات، وذلك بفعل اختلاف اللغات في تقطيع التجربة الإنسانية، وتباين طرائق التعبير بينها، وهذا ماذهب إليه تشارلز فرايز(**Ch.Fries**)،حينما رأى أن الفرد ينحو إلى نقل صيغ لغته وثقافته،فضلا عن المعاني ويقوم بإيداعها في اللغة والثقافة الأجنبية أثناء محاولته التحدث بها، والأمر ذاته ينطبق على محاولته فهمها أثناء تعامله مع ناطق أصلي لتلك اللغة الأجنبية:" (الأمين، 1982، صفحة 13) ومتى وجدناه(المترجم) أيضا قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها وتعترض عليها" (بحر، كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ج 1. ط2، 1965، صفحة 76) .

ومن ذلك مثلا تفطنه من خلال الملاحظة لكلام الأعاجم، ما يعتري أحدهم حين حديثه بالعربية من الانحرافات الصوتية المخالفة لمعيار الفصاحة العربية، حيث إن الواحد منهم ليجتهد في إخراج الأصوات من مخارجها الصحيحة، ولكنه لا يفلح في ذلك بحكم ما سماه باللكنة، والتي ترجع في أساسها إلى ما أطلق عليه في موضع من كتابه البيان والتبيين اسم العادة الأولى:" ويقال في لسانه لكنة، إذا أدخل بعض حروف العرب في حروف العجم، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول" (بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ط6، 1998، الصفحات 39-40) ويصف هذه الحالة في موضع آخر بعادة المنشأ:"ومتى ترك شمائله على حالها ولسانه على سجيته، كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه" (بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ط6، 1998، صفحة 70). وهو ما لم تنبّه إليه الدراسات اللسانية الاجتماعية إلا حديثا، وقدمت له مفهوما قريبا من تنظير الجاحظ وتوصيفه تحت مسمى(**substrat**)[****] (autres, 1999,

(p. 455، الذي اختلف الدارسون العرب المحدثين في شأن مقابله العربي[*****] (المبارك، صفحة 275) (الحمزاوي، 1987، صفحة 221)، ولو أنهم عادوا إلى كتابات الجاحظ لأغناهم عن كثير من العنت والجهد، واكتفوا بمصطلح العادة الأولى أو عادة المنشأ مثلما صنع اللساني الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح (صالح، 2007، صفحة 122).

وتبدو قوة الملاحظة العلمية لدى الجاحظ في دقة الوصف للظواهر النطقية، وما يلحق مخارج الأصوات من عيوب وانحرافات، بفعل تشوهات تلحقها، ومن أمثلة ذلك اللثغة، فقد عدد الأصوات التي تتأثر بفعلها، ومثل لها بتصويتات فعلية عاينها على أرض الواقع، وكان بعد رصده لهذه الظواهر النطقية المشوهة، يصف العلاج الذي يراه مناسبا، ولم يكتف بذلك بل كان يسوق النماذج والأمثلة لمشاهير عصره الذين اشتهروا بمثل هذه الانحرافات، وكيفية تجاوزهم لها، كواصل بن عطاء[******] (بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ط6، 1998، الصفحات 34-74). ولكنه كان ينطلق في دراساته تلك من معيار أخلاقي يرى في تلك التشوهات النطقية قوادح للمروءة؛ إذ كان يوظف لغة قيمية ترفضها الدراسات اللسانية المعاصرة:"واللثغة التي بالراء إذا كانت بالياء فهي أحقرهن وأوضعهن لذي المروءة، ثم التي على الظاء، ثم التي على الذال، فأما التي على الغين فهي أيسرهن"[*******] (بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ط6، 1998، صفحة 36).

وقد كانت للجاحظ نظرات بقيت صامدة في الدراسات اللسانية التطبيقية المعاصرة وخاصة في مسألة اكتساب وتعلم اللغات الثواني، وتأثير اللغة الأم والعادات الصوتية المكتسبة منها، التي تأبى الانخلاع من صاحبها متى كبر، حتى ولو خالط الأعجمي فصحاء العرب، وهو ما يعرف بالانغماس اللغوي في تعليمية اللغات، أي: "أن ينغمس في بحر أصواتها(اللغة) كما يقولون لمدة كافية لتظهر فيه هذه الملكة" (صالح، 2007، صفحة 192)، والذي نلحظه في قوله:" ألا ترى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام في عليا تميم، وفي سفلى قيس، وبين عجُز هوازن خمسين عاما" (بحر، البيان والتبيين،

تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ط6، 1998، صفحة 70)، فهو ههنا بتأكيده على عدم استقامة أصوات العربية لدى الأعجمي في حالة استقدامة إلى البيئة العربية كبيرا، على الرغم من أهمية الإقامة اللغوية المحققة للانغماس في التمكن من اللغة الثانية، ونشير ههنا أن" أقام" الموظفة في هذا المقام استحالت مصطلحا لسانيا له مفهوم علمي دقيق(الإقامة اللغوية– **Séjour linguistique**).

4. النتائج:

أ– إن اتسام اللغويين القدامى العرب بالطابع الموسوعي في دراساتهم، جعلهم يأخذون من كل فن بطرف، مما حال دون التوسع في معالجة القضايا اللغوية التطبيقية التي عالجوها، فقد كان يبثون آراءهم ونظراتهم اللغوية في ثنايا مؤلفاتهم المعروفة بتنوع المسائل المطروقة وكثافتها؛ إذ تلفي الواحد منهم يتناول النقد والبلاغة والأدب وأخبار العرب والقراءات القرآنية...في السفر الواحد، وهذا ما ينفي عن هذه الأعمال صفة التخصص العلمي الدقيق بمواصفات العصر الحالي. وهذا بدوره ما يبعد عن هذه الأعمال الريادة العلمية في حقل الدراسات اللغوية التطبيقية. ويكفي للتدليل على ذلك العودة إلى أبحاث الجاحظ اللغوية المبثوثة في كتبه ورسائله المختلفة للوصول إلى هذا الحكم، بل لنا أن نعاين ذلك في الباب الذي عقده لذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضره منها (بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ط6، 1998، الصفحات 34–74) لنصل إلى هذه القناعة، فقد كان هذا الباب مزيجا من الأخبار والأشعار، والسمة البارزة فيه كثرة الاستطراد، وغياب المنهج حتى إنه ضمنه حديثا عن عيوب نطقية أخرى غير اللثغة كاللجلجة والفأفأة وغيرها من التشوهات والانحرافات النطقية.

ب– لا يمكن الحديث عن ريادة علمية للجاحظ في ميدان اللسانيات التطبيقية، وأن الغربيين قد حذوا حذوه، وأخذوا عنه، دون إقرار منهم بذلك، وإنما لنا أن نتحدث عن سبق علمي عربي وجهود لغوية تطبيقية فاعلة وإسهامات وازنة في هذا الحقل المعرفي مبنية على المعاينة ودقة

الملاحظة، وغاب عنها المنهج العلمي الصارم بمفهوم هذا العصر، واتسمت بكونها جهود مبعثرة تشتت ذهن المتلقي، وترهقه في لملمة أجزاء الموضوع الواحد، ومن ثمة أمكن الحديث عن ملامح درس لساني تطبيقي.

ج- إن اللسانيات التطبيقية حقل معرفي غربي النشأة، له سياقاته التي نشأ وتطور فيها، وظروفه التي تشعب خلالها، إلى أن وصل إلى ما وصل إليه من النضج والاكتمال، ونحن نظلم الجاحظ إن قلنا عنه إنه رائد هذا العلم، وواضع قواعده، نظرا لكون حكم كهذا مقدمة تتبني عليها نتائج أولها مساءلة علمية للمنجز اللساني التطبيقي الذي خلفه الجاحظ بأدوات العصر، والتي لا يمكن لمقولات الجاحظ اللغوية أن تصمد أمامها. ثم إن حكما كهذا قوامه نظرة ماضوية آسرة، تلهي عن التفكير في ترقية البحث اللغوي التطبيقي، وتجعله رهين طروحات تجاوزها الزمن.

د- إن الموقف من التراث اللغوي العربي لا ينبغي أن يتأسس على رؤية تقديسية لما خلفه لغويونا، كما لا يمكن أن نقف منه موقف الإنكار بفعل الانبهار بالمنجز الغربي، علينا أن نتعامل معه تعامل الفاحص المنتقي لعناصره الفاعلة التي ما زالت صالحة لمعالجة القضايا اللغوية العربية بأدوات إجرائية انطلاقا من كون اللسانيات التطبيقية في حد ذاتها تقوم على مرتكزات: الفاعلية والانتقائية، والبراغماتية

صاحب هذه الدعوى هو جاسم علي جاسم، الذي نشر مجموعة من المقالات منفردا أو بالاشتراك مع زيدان علي جاسم، في مجموعة من المجلات العربية، يقول فيها بالريادة العربية في هذا الميدان في الفترة الممتدة ما بين2001إلى 2013، نذكر منها: نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي(بالاشتراك مع زيدان علي جاسم)، مجلة التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع83-84، السنة21، أيلول-سبتمر 2001، ص242-251. وعلم اللغة النفسي في التراث العربي، مجلة العربية للناطقين بغيرها، ع7، السنة6، الخرطوم، 2009، ص29-95، إضافة إلى مقال علم اللغة التطبيقي في التراث العربي: الجاحظ

أنموذجا، المشار إليه في الهامش أعلاه، والصادر سنة2013، وقد جمع كل هذه المقالات في دراسة طويلة جدا نشرها في مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة،ع165، بعنوان الجاحظ عالم اللغة التطبيقي، ونشير إلى أنه على مدار هذه السنوات كان يكرر نفسه فقط، ولم يطور أفكاره.

وجه جاسم علي جاسم نقده إلى نايف خرما وعلي حجاج، وأبدى عدم اتفاقه معهما فيما ذهبا إليه، في كتابهما: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، من كون:" طرائق التدريس أخذت بالتعدد والتنوع منذ بداية القرن الحالي– يقصدان القرن20– نتيجة أسباب كثيرة، منها الحاجة لتعلم اللغات المختلفة ودراستها التي لم تكن معروفة سابقا..." وأكد على أن تعلم اللغات ودراستها كان معروفا منذ العصر الجاهلي. وهذا ما يدعونا إلى التساؤل: هل الحالات الفردية المعزولة التي ساقها جاسم علي جاسم كافية لبناء حكم بمثل هذا التعميم والإطلاقية؟

*** L'ensemble des relations entre des objets et des personnes qui font la spécificité d'un domaine du savoir ou d'un programme de recherche

يراد بهذا المصطلح كل لغة منطوقة في منطقة معينة حلت محلها لغة أخرى، لأسباب متعددة، مع بروز بقايا اللغة السابقة في اللغة الجديدة التي خلفتها.

قام بعض الدارسين العرب بوضع مصطلحات جديدة لهذا المفهوم، وفي هذا إغراق للعلم في دوامة من الاضطراب المفاهيمي، وإكثار لمترادفات كان ينبغي أن لا تقع في الممارسة المصطلحية، لما في ذلك من تشويش دلالي على الدارسين، وطلبة العلم، فقد وضع أحد الدارسين مقابلا للمصطلح الأجنبي جملة اسمية كاملة، حينما سماه: لغة أساسية فرعية، وأطلق عليه دارس آخر اسم: طبقة لغوية سفلى.

خصص الجاحظ مبحثا كاملا للثغة حمل عنوان:"ذكر الحروف التي تدخلها اللثغة وما يحضرني منها" من كتابه البيان والتبيين.

وأعاد الحديث عنها بالمنطق المعياري ذاته في الصفحة الموالية:" وأما اللثغة في الراء فتكون بالياء والطاء والذال والغين، وهي أقلها قبحا وأوجدها في ذوي الشرف وكبار الناس وبلغائهم وعلمائهم".

-قائمة المراجع:

- autres, J. D. (1999). Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage. Paris: Ed. Larousse.
- Fabiani, J.-L. (2006). A quoi sert la notion de discipline. acte de colloque qu'est-ce qu'une discipline ? (p. 12). (sous la direction de Jean boutier et autres).Ed : de l'EHESS.
- Leclerc, M. (1989). La notion de discipline scientifique. In : Politique.N°15 , 23.
- Lipovsky, A. a. (2009). Studies in Applied Linguistics and Language Learning. Cambridge ScholarsPublishing.
- أبو الفتح عثمان بن جني. (1999). الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ج1، ط4. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1998). البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، ط6. القاهرة: مطبعة الخانجي.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (1965). كتاب الحيوان. تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون. ج 1. ط2. مصر: مصطفى بابي الحلبي وأولاده.
- جاسم علي جاسم. (مج40،ع2، 2013). علم اللغة التطبيقي في التراث العربي. مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، الجامعة الأردنية.
- عبد الرحمان الحاج صالح. (2007). أبحاث و دراسات في اللسانيات العربية.ج1. الجزائر: موفم للنشر.

- فقد روى مسلم في صحيحة. (بلا تاريخ). تعوُّذه صلى الله عليه وسلم من العلم الذي لا ينفع، قائلا:" اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..." ح:2722، باب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.
- مبارك المبارك. معجم المصطلحات الألسنية: فرنسي، انجليزي، عربي. دت. بيروت: دار الفكر اللبناني.
- محمد رشاد الحمزاوي. (1987). معجم المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية. الدار التونسية للنشر. تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.
- محمود إسماعيل صيني وإسحاق محمد الأمين. (1982). التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء. ط1. الرياض: منشورات جامعة الملك سعود.
- هادي نهر. (1988). علم اللغة الاجتماعي عند العرب، ط1. العراق: منشورات الجامعة المستنصرية.
- ينظر على سبيل المثال لا الحصر في هذا الباب مازن الوعر. (بلا تاريخ). في كتابه دراسات لسانية تطبيقية. وهادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب. ودراسة جاسم علي جاسم، علم اللغة التطبيقي في التراث العربي . في مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية التي تصدرها الجامعة الأردنية، مج40،ع2، 2013.